سلسلة مسطور الأقلام لما أملاه العالم الهمام
سيدي المصطفى البحياوي الحسني الإمام من فيض إلهام الفتاح العلام

روض الإلهيات
من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات

مدخل إلى علم العقائد
انطلاقا من مقطع الحمد وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته

من كلام
الإمام العلامة سيدي المصطفى البحياوي الحسني حفظه الله

إعداد وتقديم
الحاج محمد قاسمي السجلماسي

إهــداء على استحياء

بقنوت الولد المقصر في البر والطامع في الرضى بين يدي
من أنجب وولد، ومن علم وأرشد

أبي النبيل وأمي الفاضلة وشيخي الجليل

مع ما يجب لفضيلتكم من الاحترام والتقدير، ولحضرتكم من الإجلال والتوقير، يقف بين أيديكم ابنكم وخادمكم ليُهدي إليكم عملًا هو من بركات دعائكم وتعليمكم، فتقبّلوه مني أجزل الله لكم الثواب، ورفع مقامكم، وأدام عافيتكم، وأحسن العطاء في دار البقاء لوالديكم، وأقر أعينكم بأهلكم وذويكم ومن إليكم.

إهداء المحب ما يحب إلى من يحب

زوجتي وبناتي وإخوتي وعائلتي ومن إلي نسبًا وصهرًا

من علمني أو قرأت عليه،

أبناء الشيخ سيدي المصطفى وأهله وتلامذته ومحبوه
ورواد مجالسه ومن إليه

شكر وعرفان لمن ساهم وصاحب وأعان

الأستاذ الفاضل والأخ الكريم مولاي حفيظ بوليط.

والإخوة: عبد الله جلم، وأيوب الناصري، ويونس بقيان.

أحسن الله الجزاء للجميع بجاه النبي الشفيع ﷺ

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله تحت عنوان:

«على أعتاب الروض البهي»

(العنوان والموضوع، النسبة والرتبة، المقصد والمنهج)

• تِي قُطُوفُ زَهْرِ روضٍ فاق في انتسابه، وتألق في بابه، روض فسيحٍ مليح، امتدت ظلاله في سماء الحمد والتسبيح، الذي هو عنوان التوحيد الصحيح.

• ما أجمل أن يعرف الناس ربهم محمودًا بكل الكمالات التي تنبئ عنها آيات حمده، ومحبوبًا منهم بمقتضى كونه مُفيضًا للجود على كل قطاعات الوجود، ومستحقًا لسجود السجود بما أنه العلي الولي الودود.

• وكم هي رائعةٌ فاتحة الكتاب المُعرِّفة بمنزله بعنوان الحمد له، الذي هو عنوان كمالٍ في المحمود، وهو من حامده عربون محبة منه للمُسَبِّحِ بحمده.

• وما أجمل أن يكون التعريف بالله جل جلاله بآيات حمده، وهو ما أرشد إليه كتاب الختم، بقوله الأتم: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا....﴾، بعيدًا عن التعقيد المنهجي، وكثافة المصطلح، وكدر الخلاف المطَّرح.

- «روض الإلهيات» عنوان جديد شائق، لمبحث عتيد فائق، أصيل أثيل، جميل جليل، يمتد مجال النظر فيه من ذوي الاعتبار، ليشمل كل آيات الاستبصار، المرسلة والمنزلة، وكل الآثار العلية، والسُّمى الحسنى البهية.

- روضٌ مشوقٌ معشوقٌ، لا يكل طرف الناظر فيه بشرطه من إعادة النظر فيه، من أجل الاستمداد بحسب الاستعداد.

- روضٌ رائق النسبة، سابق الرتبة، سني الإضافة، فائق في كل ما أفاض فيه وتناوله من شؤون المسمى: «الله» جل جلاله، مشدود إلى سماء السماء، لأنه يؤم مقاطع الجلالة تعريفا بالاسم الأعظم ذي الوصف الأتم: «اللهم».

- روضٌ تَؤمُّ مقاطعه المختارة التعريف بجناب الله العلي جل جلاله في باب الكمال والجمال والجلال، ويَأتَمُّ الناظر فيه بسَنَن النبي السني صلى الله عليه وسلم، إقرارًا بالعجز التام عن إحصاء الثناء في قوله عليه السلام: (لا أحصي ثناء عليك)، مع الإرشاد إلى إحصاء الأسماء، الذي هو ميدان السباق، وسبيل الوصول إلى رحاب أهل الوفاق؛ (من أحصاها دخل الجنة).

- روضٌ بين يديه مقطع الحمد الأجلّ، الذي صُدِّر به الوحي المنزل، وهو فاتحة الكتاب، وفيها منهج التعريف بالله المحمود، وهذا إقرارٌ بالكمال من الحامد، وبالله المعبود، وهذا باب التكميل للعابد، وبالله المُسْتَهْدى، وهذا سند الرافد المطَّرِد.

● روضٌ قطب أقطاب مباحثه هو الإله جل في علاه، وهو جذرها وأساسها، لأن كل موضوعات علم العقائد ينسحب عليها وصف الإلهية، فالنبوءة اصطفاء منه للاصطفاء بها، والرسالة خطاب الله، والقدر فعل الله، والملائكة جنود الله، والمعاد لقاء الله للجزاء.

● وكان من رأينا اعتماد هذه المقاطع الجلالية المصدرة بالاسم الأعظم: «الله» جل جلاله، في دراسة موضوعات الفقه الأكبر، لكونها أوفى المقاطع بمقام التعريف بالله العلي اللطيف.

● «روض الإلهيات» كان في أصله مبثوثٌ شفوي في لقاءات نظمت بإحدى المنتديات الإسلامية، ثم قيض الله له من قام بتنزيله من خطاب مسموع إلى كتاب مطبوع، رغم ما بينهما من تفاوت في الخصائص والمقتضيات، ذلك أن الأول أداته الفم ومجلاه السمع، والثاني أداته القلم ومجلاه النظر، وهو أبقى للأثر لقوله صلى الله عليه وسلم: (قيدوا العلم بالكتاب)، في انتظار أن تصبح الكتابة الصوتية بديلًا مغنيًا عن الكتابة الخطية.

● ولا أكتم القارئ سرًا، فما كنت أظن أن هذا النظر مني، والإملاء الذي صدر عني، في تلكم المجالس، سيحظى بما حظي به من الاعتناء والاحتفاء، لكني تذكرت شرف النسبة وكرم الموضوع، وأن المُتَحدَّثَ عنه فتاح كريم، يعطي في مقابل اليسير الكثير، ويجازي على القليل بالجليل، ويمنح الهبات السنيات، سترًا للعيب، وسدًا للخلل، وتكميلًا للنقص، ويقابل المنتسب والمقترب برفع شأنه، وضمان أمنه. ومن عَرَفَ الله وُصِل، ومن خَدَمَ الله أُعين وفُضِّل.

• وإذ نقدم لهذا العمل المنجز، والمحاولة الجديدة الرائدة من محب مُتَوَلِّه، يرتشف منه ويغترف، فإني لأقدر الجهد المقدم والاستماتة فيه، إذ لولا ذلك ما كان ليتم له ما قصد، لأن الأداء الذي مجلاه السمع، يَنِدُّ عن أن يَطُوعَ للقلم على الصفحات ليكون مجلاه النظر، ومع ذلك فإن هذه البادرة كانت بحمد الله موفقة، خصوصا في المقاربة التي اعتمدتها في صياغة النص مع الاحتفاظ ما أمكن بما جاء في الأصل المسموع، مع السماح ببعض التصرف فيه في حدود ما يقتضيه تحويل الكلام من مسموع إلى مطبوع، وكذلك الجهد المبذول في التبويب والترتيب، والتوثيق والتقريب.

• أُثمِّن العمل وأتمنى للقائمين عليه -وفيهم من يؤثر الاستتار- أن تشملهم عناية صاحب الروض؛ الله (جل جلاله)، وذلك بأن يحقق لهم المبتغى، ويفتح لهم الباب لإتمام العمل على نفس الخطى، ويصونهم من الزلل والخطا.

• هذا، وقد يتيح لنا هذا اللون من الاشتغال، الفرصة لاستجماع النظر، لغاية استجلاء معالم تجديدٍ منهجيٍّ يهمُّ البحث في الإلهيات كما نراه.

إمضاء بدعاء

حقق الله الرجاء، وبلغ المأمول، وصان المنتسب وبارك عليه، ورد المغترب إلى أفياء ظل الروض البهي، لسلوك سبيل أولي الألباب، ﴿اِ۬لذِينَ يَذْكُرُونَ اَ۬للَّهَ قِيَٰماٗ وَقُعُوداٗ وَعَلَيٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِے خَلْقِ اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران ١٩١]

وصلى الله وسلم على العارف بالله، والقارئ باسمه، والمسبح بحمده، ما خُطَّ كتاب، وارتفع سحاب، ورُفع حجاب، وعلى آله وصحبه الأنجاب، والتابعين لهم إلى يوم المآب.

اعْـــرِفْ أحِـــبَّ وَحِّـــدِ ... تلـــك أصـــول المفـــردِ
ومُبْتَـــغِ الوصـــول مـــن ... غيـــر ســـبيلها فُـــتِنْ
وكـــان كالـــذي يـــروم ... الـــرَّيَ مـــن حَـــرِّ الســـموم

وحرر أحرف الأعتاب ملازمها، رجاء أن يدرج في الأنجاب، ويفتح له الباب، عبيد ربه خادم الكتاب، المصطفى البحياوي الحسني، بطنجة الثغر، بالشهر الحرام (ذي القعدة) عام ١٤٣٩ من هجرة المصطفى عليه السلام.

والحمد لله بدأ وختما.

وحرر أحرف الأعتاب
ملازمها رجاء أن يدرج في الأنجاب
ويفتح له الباب.
عبيد ربه خادم الكتاب
المصطفى البحياوي الحسني
بطنجة الثغر بالشهر الحرام (ذي القعدة)
عام 1439 هـ
والحمد لله بدأ وختما

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والاخرين، ورضي الله عن ساداتنا آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فمن المعلوم لدى جميع أهل العلم والنظر، أن شرف العلم تابع لشرف موضوعه، ولذلك كان علم التوحيد أجل العلوم بإطلاق. وأفضلها باتفاق، ذلك لأن موضوعه أجل موضوع وأعظمه، وهو التعريف بالله جل وعلا، سواء ما تعلق بذاته العلية، أو صفاته السنية، أو أفعاله الحكيمة، وتحت هذه الثلاث تندرج جميع موضوعات علم الاعتقاد، وهو ما جعل علماء الأمة تنصرف عنايتهم للاهتمام بهذا العلم الشريف، وتشييد صرحه المنيف، يشهد بذلك الجم الغفير من علماء العقيدة والكلام، الذين كانوا نجومًا سواطع في سماء مجد أمتنا، وذلكم الكم الهائل من المؤلفات، مختصرات وجوامع، مما جادت به الأفئدة الصادقة، والعقول المدققة، وسطرته يراعات المحققين، وشهد به وعليه الجميع من موافقين ومفارقين.

ولم يكن هذا الاهتمام خاصًّا بعصر دون غيره، ولا بقُطر دون نظيره، وإنما عَمَّ ذلك جميع الفترات، وساد في جميع المناطق والبيئات، ومنها بلاد الغرب الإسلامي التي كانت عناية أهل العلم فيها بعلم التوحيد فائقة،

فلما تجددت صلتي بالجامعة بالتسجيل في سلك الماستر بكلية أصول الدين العامرة، قررت أن أستأنف ما كنت بدأته، وبعد أن استشرت مع الأستاذ الفاضل الدكتور سيدي محمد الفقير التمسماني -عميد الكلية- حفظه الله في أن يكون موضوع البحث لنيل شهادة الماستر بإشرافه هو نص «روض الإلهيات» وذلك بتنزيله من خطاب ألقي على مسامع أهل العلم وطلبته، إلى كتاب يسهل الرجوع إليه ويشكل مادة علمية يستفيد منها طالبها، رحَّب بالفكرة جزاه الله خيرًا، وساهم بتوجيهاته النَّيِّرة ونصائحه القيمة في تيسير إنجازه، فله مني جزيل الشكر وكبير الامتنان.

دوافع الاختيار

من أهم محاور «ماستر العقيدة والفكر في الغرب الإسلامي» محور «أعلام العقيدة في الغرب الإسلامي»، وبما أن الشيخ سيدي المصطفى البحياوي من جِلَّةِ العلماء المعاصرين، وهو من بلاد المغرب، وهو إلى جانب كونه إمامًا في القرآن وعلومه (حفظًا، وأداءً، ورسمًا، وفهمًا)، وكذلك في السنة والحديث (إسنادًا ودراية وفقهًا...)، فإن له باعًا طويلًا في علوم التوحيد والكلام واللغة وغيرها من العلوم.

كما أن الشيخ حفظه الله جمع إلى أصالة التكوين في العلوم الشرعية، التمكن من ناصية المناهج المعاصرة، سواء على مستوى منهج عرض القضايا والمباحث، أو على مستوى الأسلوب ولغة البيان، وبعد أن تمت مناقشة البحث بحمد الله في الكلية بدا لي أن أبادر إلى طبعه في كتاب

يكون بإذن الله باكورة أستهل بها مشروع تزويد المكتبة الإسلامية بدرر فائقة في علوم مختلفة، جادت بها قريحة الشيخ الجليل، وذلك رجاء أن أدرج فيمن كتب لهم شرف خدمة علم هذا العَلَمِ، فأحظى بما وُعِدوا به من كريم الشفاعة[1]، والله يتولى التوفيق والسداد، وهو الهادي إلى سبيل الهداية والرشاد.

لماذا روض الإلهيات؟

من المعلوم لدى كل من له أدنى صلة بالإنتاج العلمي الغزير للشيخ سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله - المكتوب منه والمسموع - أن مباحث العقيدة منثورة في مواطن مختلفة، منها على سبيل المثال:

- شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري رضي الله عنه،
- نظم العقيدة الطحاوية الموسوم بـ«منحة المهدي بنظم عقيدة الأزدي».
- كما أن درسه في التفسير حافل بالمسائل ذات الصلة بعلم التوحيد والكلام.

---

(١) يقول الله عز وجل يوم القيامة في حق العلماء: «هم عندي كأنبيائي، اشفعوا فيمن تشاءون»، فيشفع العالم في أهل بيته وجيرانه وإخوته، ويأمر كل واحد منهم مَلَكًا ينادي في الناس: ألا إن فلانا العالم قد أمره الله أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمة، أو سقاه شربة ماء حين عطش، فيقوم إليه من فعل معه شيئا من ذلك فيشفع له، وفي الصحيح أن أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء، ويعقد لهم راية بيضاء تجعل في يد إبراهيم عليه السلام. (الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، (ص:٧٣).

- في غالب خطبه المنبرية يركز حفظه الله على مسألة العقيدة وأنها معقد الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

إلا أن مجالس «روض الإلهيات من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات» تمحضت للفقه الأكبر، ورغبة مني في الاستفادة منها وبيان موضوعها وجوانب التميز والتجديد فيها، وكذلك الإضافات النوعية التي حفلت بها تلك الدروس، عزمت على العناية بها وإخراجها في كتاب يستفيد منه أهل العلم وطلبته.

الدراسات السابقة

بخصوص تحرير التراث العلمي للعلامة سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله، سمعت عن الكثير من المحاولات في الباب، لكنها في حدود ما أعلم يلاحظ فيها أمرين:

الأمر الأوَّل: وهو أنه في الغالب تبقى في المراحل الأولى، وتكون عبارة عن انفعال عاطفي يولد رغبة لكن سرعان ما تنطفئ جِذْوتها، ولا تبلغ لتكون عملًا كاملًا يبلغ به صاحبه إلى ما ينبغي الوصول إليه. كتلك التي قمت بها بخصوص مجالس شرح الشمائل المحمدية للترمذي، وشرح الحكم لابن عطاء الله السكندري، وشرح رسالة الشافعي.

وهناك من قال بأنه حرر تفسير سورة الفاتحة الذي أملاه الشيخ ضمن دروس الكراسي العلمية، وهي ست وسبعون حلقة، لكن لحد الآن وفي حدود علمي لم يتم عرضه على الشيخ ولم يطبع بعد.

الأمر الثاني: أنها في الغالب تقتصر على بعض المنظومات والنصوص كتلك التي حررها الأستاذ مولاي حفيظ بوليط، إما بطلب من الشيخ أو بمبادرة منه، وتلك التي قام بها الدكتور نزار حمادي، كالنفح العنبري بنظم حكم السكندري، ونظم مجالس الموطأ الذي اعتنى به الأستاذ سهيل بن محمد اليدوزي.

وجدير بالذكر في هذا المقام أن الدكتور عبد الرحيم بنغاشي من كلية الأمير عبد القادر بالقسطنطينة في الجزائر، كتب شرح الشيخ سيدي المصطفى لكتاب المرافق على الموافق للشيخ أبي المودة، وقد وصل فيه إلى مراحل جد متقدمة نسأل الله أن يوفقه لإكماله.

ومن بين الجهود في خدمة علم الشيخ مولاي المصطفى البحياوي، البحث الذي قام به الطالب البشير اندمين تحت عنوان: «منهج الشيخ مولاي المصطفى البحياوي في التفسير: تفسير سورة الفاتحة نموذجًا» وهو رسالة لنيل شهادة الماستر من جامعة ابن زهر برسم الموسم الجامعي ٢٠١٥/ ٢٠١٦ تحت إشراف الدكتور حسن حميتو.

كما أن الطالب النجيب محمد ابن إدريس العلمي جمع في رسالة صغيرة مجموعة من الديباجات والحكم وبعض الخطب الرمضانية في تدبر قصار المفصل، وقدم لها بمقدمات مختصرة وسمى رسالته «مسالك الاهتداء».

غير أنه يبقى كل ذلك غير كاف إذا ما قورن بما يجب على الأمة تجاه علمائها، نسأل الله العلي الأعلى أن يوفق من أهل العلم من يسد هذا المسدّ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فصل في التعريف بصاحب «روض الإلهيات» وأثره العلمي والدعوي والتربوي

وذلك في مبحثين مختصرين بعد تقدمة فيها ذكر كيف تعرفت عليه

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للعلامة سيدي المصطفى البحياوي

المبحث الثاني: الأثر العلمي والدعوي والتربوي للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله

تقدمة بين يدي هذا الفصل

وفيها ذكر كيف تعرفت على سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله:

في سنة ١٤٢٣هـ، وأنا طالب بكلية الآداب في سلك الإجازة شعبة الدراسات الإسلامية، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس، تعرفت على السيد الفاضل سيدي الحبيب الشرقاوي[1]، وكان أن توطدت العلاقة معه بسبب مجالسات ومذاكرات، فلما علم بأنني أتردد إلى مدينة طنجة بسبب استقرار الأسرة بها، قال لي: إن فيها عالمٌ كبير، ورجل فاضل أصيل، فإذا ذهبت إليها فزره، وقل له: الحبيب الشرقاوي يقرئك السلام ويسألك الدعاء، وأوصاني بملازمته قائلا: إنه سيفيدك في مسارك الدراسي والعلمي، وكان يتوسم فيَّ الخير ويصارحني بذلك جزاه الله خير الجزاء، فلما قدمت إلى طنجة، سألت عن الشيخ بعض معارفي بها، فقالوا لي بأنه أشهرُ من أن يُسأل عنه، وعلمت أنه يسكن بحي الإدريسية ويصلي في مسجد العمرة القريب من داره، وأنه يلقي خطبة الجمعة في مسجد الإمام الشاطبي بحي مسترخوش بمدينة طنجة.

حضرت يوم الجمعة مبكرًا، وكان الغرض عندي هو التعرف على الشيخ حتى يتسنى لي أن أكلمه في مسجد العمرة، لأنني قدَّرت أن

---

(١) من مواليد (١٣٦٨هـ الموافق ل١٩٤٩م) بمراكش، درس بها الابتدائي والثانوي، واشتغل موظفا بوزارة التخطيط، تعرف على الشيخ منذ الصبا بمسجد كليز. يقول الحبيب حفظه الله: كان مولاي المصطفى محترما في مراكش منذ صغره عند الكبير والصغير. وكان لي أخا ومربيا وشيخا، إنه منة من الله عليّ، كان يهدي إليه الكتب من حين لآخر، وتعلمت من سيرته الصبر والأدب، والكرم وحب القرآن والمعرفة، جزاه الله خير الجزاء.

الحديث معه بعد صلاة الجمعة ربما يكون غير مناسب أو غير ممكن، دخلت المسجد مباشرة بعد آذان الظهر وصليت تحية المسجد وقرأت ما تيسر من كتاب الله، حتى إذا حان وقت صلاة الجمعة، وفُتح الباب الذي على يسار المحراب، فإذا بسيدي المصطفى بطلعته البهية يخطو بوقار لم يسبق لي أن رأيته، وارتقى المنبر، وسلم على الناس، وجلس في سكينة ووقار وإجلال، فلما فرغ المؤذن قام وقال:

[بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونشكره، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله.

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ إِتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِے خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِے تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ إِتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمُۥٓ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُّطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهُدَىَ هُدَى محمدٍ رسول الله ﷺ وعلى أله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، نعوذ بالله من غضبه و عقابه.

معاشر الصالحين]:

لما بدأ الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله في الخطبة، قلت في نفسي: هذا مثل الغزالي أو ابن تيمية...، وقد كنا نردد مقولة قلتها في نفسي: «هذا صحابي تأخر به الزمان»، هذا ما أحسست به والله شهيد على ما أقول.

وفي عصر أحد الأيام الموالية صَلَّيْتُ بمسجد العمرة بحي الإدريسية، فلما سلَّم الإمام قمت أنتظر سيدي المصطفى في باب المسجد، فلما خرج تقدمت نحوه والحياء يلفني، وسلمت عليه فرد ببشرٍ يبعث على الاطمئنان، لأنه يفيض من ينبوع الاستنان بنبي الأمان ﷺ، وقدمت له نفسي ومن أرسلني فربَّتَ على كتفي بيده المباركة، ورحب بي، وأخذني إلى بائع المثلجات بجوار المسجد، واشترى لي بعضها وأجلسني بجانبه، فقلت له بأنني طالب في شعبة الدراسات الإسلامية وأنني مقبل على إنجاز بحث الإجازة، فأرشدني إلى موضوع التصرفات النبوية تحت عنوان «جهات تصرفات الرسول ﷺ: ضوابط ومميزات» وقال لي بأن الإمام القرافي له كتاب في الباب تحت عنوان «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام»، وبعد ذلك بدأت أتردد عليه وتعرف حفظه الله على دار الوالد بحي بنكيران بمدينة طنجة.

وفي أحد الأيام، ولما رجعت من العمل -إذ كنت أشتغل في كل عطلة في مجال البناء لتوفير ما به أستعين على الدراسة- وجدت السرور والبهجة يغمران الدار، أبي وأمي وأخوتي، الكل يحفه البشر وتعلو قسمات وجهه السعادة، فأخبروني بأن رجلا جليلا مباركا قد جاء إليهم ومعه نسخة

من كتاب «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» للقرافي رحمه الله، وقال لهم أعطوه لمحمد حينما يأتي...

بكيت من الفرح، واغتبطت أيّما اغتباط، واختلطت علي المشاعر، فمن جهة أرى عدم الاستحقاق لما أنا متيقن منه من ذنوبي وضعف همتي، ومن جهة أخرى ما حباني به الله تعالى من حسن الحظ وجميل التوفيق، وأن يسر لي سبيل التعرف على الشيخ والقرب منه. فقررت حينها السكنى بمدينة طنجة بعد أن كنت أُعِدّ للاستقرار في مدينة فاس.

أول جلوس مع الشيخ في «الزاوية»

جاء ذات يوم إلى مدينة طنجة الحبيب الشرقاوي، والتقى بالشيخ سيدي المصطفى فاتصل بي وقال لي: التحق بنا للغداء مباشرة بعد صلاة الظهر بالمحل المقابل للمسجد، صليت بمسجد العمرة فلما خرجنا من الصلاة رحت أبحث عن المحل الذي وصفه لي فلم أهتد إليه، ولحسن حظي وجدت سيدي عطاء ابن الشيخ مع بعض أصدقاءه قرب المسجد، فعرفته لشبهه بوالده، اقتربت منه وسلمت عليه وقلت له: إذا سمحت فإنني أبحث عن المحل الذي يجلس فيه الوالد، و شرحت له أن الأخ الحبيب اتصل بي وقال لي أن آتي بعد الظهر، فأرشدني -أرشده الله لكل خير- إلى محل الأخ الفاضل سيدي مصطفى الأشهب[1] بحي كاساباراطا، التحقت

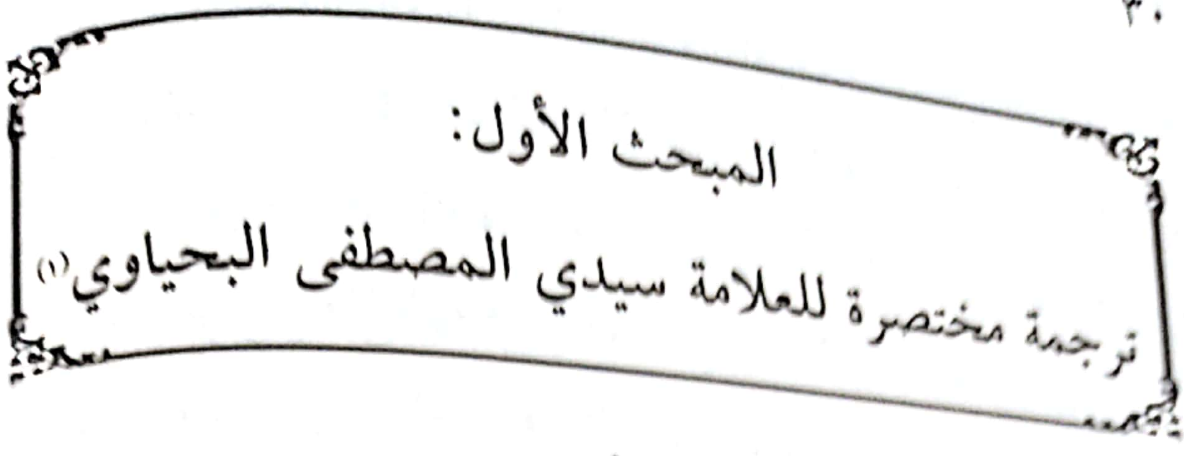
---

(١) هذا رجل نذر حياته لخدمة الشيخ سيدي المصطفى، لا يصدر إلا عن أمره، ولا يتصرف إلا بإذنه، تعرف عليه سنة (١٤١٥هـ ١٩٩٤ م) فصار كالابن له بشهادة الشيخ، جزاه الله خيرًا، والمتصل بالنور له منه نصيب بحسب درجة الوصل.

بهم ودخلت أول مرة إلى مجلس الشيخ «الزاوية» وأكرمني -أكرمه الله- بحسن الاستقبال، وجميل المقال، ولا تسل حينها عن فرحتي وسروري، ومنذ ذلك الحين وأنا في كنف رعايته وتوجيهه، أغيب فيسأل عني، وأدعوه فيجيب دعوتي... وأخطئ فيتجاوز عني، ويرشدني إلى سبل الخير، ويوصيني بمعاقد البر، والعمل في السر، ويقول: عليك بالصدق والرفق.

أعتبره أبي، وأستاذي، وشيخي، ومعلمي، ... أجزل الله له الثواب، ولَقَّاهُ النظر إلى وجهه الكريم يوم المآب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❋ ❋ ❋ ❋



المبحث الأول:

ترجمة مختصرة للعلامة سيدي المصطفى البحياوي[1]

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته:

هو فضيلة الشيخ العلامة سيدي المصطفى بن أحمد بن عبد الرحمن ابن سيدي علي بن الحاج بن عمر بن طه بن طلحة بن سيدي أبي بكر بن سيدي سعيد اللحياني بن سيدي أبي بكر بن سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن سيدي منصور بن سيدي أبي زيد عبد الرحمان الملقب بيعلى دفين حومة الطالعة بفاس بن إسحاق المكنى بعبد العلي دفين حومة مصمودة بفاس بن مولاي أحمد -دفين روضة الأشراف الأدارسة بجراوة من مدينة فاس- بن سيدي محمد بن المولى إدريس الأزهر بن المولى إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا رسول الله ﷺ[2]، ولقب البحياوي (نسبة إلى أبي يحيى البصير دفين الحدرة بمنطقة دكالة) فهو الإدريسي الحسني نسبًا، والمراكشي مولدًا ونشأة وتعلمًا وتعليمًا، والطنجي دارًا واستقرارًا.

---

(١) هذه الترجمة أملى بعضها الشيخ حفظه الله وبعد التصرف فيها والإضافة عرضتها عليه ثم ضمنتها ما تفضل به من تعديلات وتصويبات.

(٢) هذا النسب الشريف موجود عند الشيخ في مصحفه، أورده البشير اندمين في «منهج التفسير عند سيدي مصطفى» (ص ١٢-...

ولد حفظه الله تعالى في مراكش في سبعينيات القرن الرابع عشر الهجري (حوالي ١٣٧٤هـ) الموافق لخمسينات القرن العشرين الميلادي (حوالي ١٩٥٤م)، وحفظ القرآن الكريم في صغره على يد والده رحمه الله بروايتي قالون وورش، وأخذ عنه مبادئ العلوم من عربية وفقه وتفسير وأداء.

كان والده رحمه الله إماما وخطيبا وصاحب مقرأة قرآنية بمسجد أبي عمرو القسطلي[1] بمراكش، وكان الشيخ يشرف عليها في حياته، وعند وفاته رحمه الله جلس مجلسه للإقراء فيها، وفي الوقت نفسه كان يُدرّس في المدارس القرآنية بمراكش.



(١) أبو عمرو القسطلي (٩١٢ هـ - ٩٧٤هـ) مؤسس الزاوية البوعمرية وإليه تنسب (حومة سيدي بوعمر) برياض العروس، وهو من رجالات مراكش وأوليائها، ترجم له الدكتور حسن جلاب في رسالة مفردة بعنوان: «أضواء على الزاوية البوعمرية» طبعت سنة ١٩٩٦م.

المطلب الثاني: بعض شيوخه:

نشأ الشيخ في بيئة تحتفي بالعلم والعلماء، إذ كان بيت والده رحمه الله بمثابة منتدى يتردد عليه ثلة من العلماء والقراء وطلاب العلم، فتهيأ للشيخ بفضل ذلك مجالسة كبار علماء مراكش، والأخذ عنهم، والاستفادة من مناظراتهم العلمية والأدبية، وحضور دروسهم الخاصة والعامة.

ومن أولئك الأعلام الذين أخذ عنهم الشيخ وتأثر بهم في مرحلة الطلب الأولى على سبيل الذكر لا الحصر:

- أولهم في الذكر والده المرحوم الحاج أحمد بن عبد الرحمان البحياوي رحمه الله.
- فضيلة الشيخ الفقيه السباعي مولاي أحمد الطاهر الكنتاوي، قرأ عليه أسهل المسالك في الفقه المالكي، وهو أحد ملثمين في مشيخته.
- فضيلة الشيخ المقرئ محمد بن إسماعيل، قرأ عليه مبادئ علم التجويد، ودرس عليه الجزرية ونظم ابن بري المسمى «الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع».
- فضيلة الشيخ اسميج الضرير، قرأ عليه «نظم السلم» للأخضري في المنطق، ونظم «إضاءة الدجنة» للمقَّري في العقيدة. وهو أحد الضريرين في مشيخة الأستاذ البحياوي، والأخر هو سعد العبد الله الحموي.
- فضيلة العلامة المحدث الفاروقي الرحالي، حضر له مجالس الجامع الصحيح إلى كتاب المغازي، وقد ارتبط الشيخ به وتأثر كثيرًا بأسلوبه ومنهجه.

- فضيلة الشيخ عبد السلام المسفيوي قرأ عليه السيرة النبوية في مجالس متكررة في شرحَيْه «للهمزية» و«البردة».
- فضيلة الشيخ أحمد أملاح، قرأ عليه النحو والعربية، وأبوابا من «حاشية مختصر خليل» في الفقه المالكي في مسجد أبي العباس السبتي بمراكش.
- فضيلة العلامة المفسر الحاج الهاشمي المراكشي السرغيني، حضر له مجالس التفسير، وتأثر به كثيرًا، وكان يذكر من مناقبه أنه كان قوّاما للّيل مواظبا على إمامة التراويح على كبره رحمه الله.
- فضيلة الشيخ عبد العزيز الزمراني، الفقيه وقاضي القضاة في الجنوب، درس عليه «متن العاصمية» في الفقه المالكي، وهو ثاني ملثمين في مشيخة سيدي المصطفى.
- فضيلة الشيخ الكنسوسي، درس عليه السيرة النبوية.
- فضيلة الشيخ بن حليمة المراكشي، حضر له أبوابا من كتاب إحياء علوم الدين وقد كان يستحضره (يعني الإحياء) وكان ينعته الشيخ حينما يذكره في مجالسه بعاشق الإحياء.
- فضيلة الشيخ الفقيه بلخير، درس عليه علم التفسير ومناهج المفسرين، ومما يذكر الشيخ من مناقبه أنه كان لا ينقطع عن ذكر الله عز وجل.
- فضيلة الشيخ اللغوي أحمد الشرقاوي درس عليه اللغة والأدب وبعض معاجم اللغة، كـ«معجم المقاييس» لابن فارس.

كما حضر مجالس سرد البخاري للفقيه الورزازي وغيرهم من العلماء الأفاضل الذين تأثر بهم الشيخ في شبابه وبداية الطلب في مراكش، وأسهموا في إبراز نبوغه وتفوقه على أقرانه.

ومن شيوخه في القراءات:

- الشيخ المقرئ عبد الفتاح القاضي أخذ عنه شرحه الوافي للشاطبية.
- الشيخ السيد عبد الفتاح المرصفي، أخذ عنه «هداية القاري إلى تجويد كلام الباري».
- والشيخ المقرئ عبد الحكيم عبد اللطيف، عرض عليه الثلاث من «الدرة»[1].
- والشيخ سعيد بن عبد الله المحمد العبد الله الحموي الضرير، قرأ عليه للسبعة من «الحرز».

ومن شيوخه في الحديث:

- الشيخ المحدث سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري.
- والشيخ المحدث سيدي عبد الله بن الصديق الغماري.

* * * *

المطلب الثالث: سيرة ومسار:

توفي والد الشيخ رحمه الله وهو في مرحلة البكالوريا من التعليم النظامي، فتولى الإمامة والخطابة من بعده، وجلس مجلسه للإقراء بمراكش، ولما اجتاز البكالوريا، التحق بمدرسة المعلمين، وتخرج الأول على دفعته، إلا أنه تم تعيينه بعيدًا في منطقة نائية على جبال الأطلس تسمى أكلموس. وأمضى هناك ما يزيد على ثلاث سنوات كان خلالها يزاول مهامه الوظيفية، وحال فراغه منها كان ينزل إلى البلدة المجاورة يُدَرِّس الطلبة، فتخرج على يديه أول الأفواج من الحفظة وطلاب العلم في المنطقة.

بعد ذلك التحق بالمركز الجهوي للدراسات اللغوية والأدبية بمراكش بعد أن نجح في مباراة القبول، فكان ذلك سببًا في انتقاله مرة أخرى إلى مراكش. وبالموازاة مع ذلك التحق الشيخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط ليتابع دراسته الجامعية عن بعد في شعبة الفلسفة، فكان يجمع بين التدريس في دار القرآن، والإقراء في مقرأة الوالد رحمه الله، والوظيفة، والدراسة في المركز الجهوي للدراسات اللغوية، ويحضر المحاضرات في كلية الفلسفة، ويسافر في فترة الامتحانات إلى الرباط لاجتياز الاختبارات. وخلال تلك السنوات حضر دروسًا لكل من رشدي فكار، وسامي النشار، وطه عبد الرحمن.

ولما تخرج في المركز الجهوي بعد سنتين، عُيِّن أستاذًا للغة العربية في مؤسستي ابن عبدون وعمر بن الخطاب في مدينة واد زم ومدينة خريبكة. ولما حصل على الإجازة في الفلسفة عين أستاذًا للفكر الإسلامي

والتربية الإسلامية في ثانوية يوسف بن تاشفين، والتي درس فيها حوالي سبع سنوات، كان خلالها يحاضر في جامعة مراكش حول العقيدة وحوار الأديان ويتصدى بكل نشاطه للفكر الماركسي الذي كان سائدًا آنذاك. كما كان مستمرًا في إشرافه على المقرأة القرآنية وتدريس مادة القراءات والعلوم الشرعية الأخرى في دار القرآن، ويتولى الخطابة والوعظ في مسجد والده رحمه الله وغيره من مساجد مراكش.

وكان بحث تخرجه تحت عنوان: «العلة في القياس الفقهي والحد الأوسط الأرسطي» واعتمد فيه على «الجواهر المنطقية» للفاسي و«معيار العلم» للغزالي و«مِحك النظر» لابن حزم.

في هذه الفترة من بداية الثمانينات تقدم الشيخ إلى مباراة وطنية لاختيار المفتشين في التعليم، فتم قبوله واحدًا من بين عشرة من كل المغرب للالتحاق بالمعهد الوطني بالرباط لمدة سنتين، فانتقل بموجب ذلك إلى الرباط، وكعادته كان يجمع بين عمله الوظيفي، والتدريس والدعوة الى الله، فساهم في فتح مدرسة قرآنية تخرج منها العديد من طلاب العلم، وكان له مجلسان للتدريس في منطقة «باب الحد» يرتادهما العديد من الفضلاء وطلاب العلم. وخلال تلك السنتين حصل الشيخ على الماستر «دبلوم الدراسات العليا» في الدراسات القرآنية من خلال بحثين؛ الأول تحت عنوان: «المسك الأذفر فيما خالف فيه نافع أبا جعفر» والثاني «مناهج دراسة النص القرآني». وتقدم ببحث دكتوراه في تحقيق الجميلة «جميلة أرباب المراصد شرح عقيلة أتراب القصائد للجعبري» لكنه قوبل بالعراقيل فصرف الشيخ عنه نظره.

وحال تخرجه من المعهد الوطني تم تعيينه مفتشًا عامًّا على جهة الشمال، ومشرفًا على التّعليم الأصيل واللغة العربية في كل من طنجة وشفشاون وتطوان لمدة ثلاث سنوات، إلى أن استقر به الأمر في طنجة حيث يقيم إلى الآن. فأسس معهد الإمام الشاطبي للقرآن الكريم وعلومه الذي يديره إلى الآن، والذي خرّج ولازال الأفواج من الحفظة والأئمة وطلاب العلم.

كما درّس في معهد الموحدين العقيدة الطحاوية، وأشرف على العديد من دور القرآن وكانت له مجالس للعموم في التفسير وصحيح البخاري والسيرة النبوية، وله إلى الآن مجالس خاصة مع الطلبة في القراءات وعلوم القرآن والأصول واللغة، ويلقي خطبة الجمعة في مسجد الإمام الشاطبي؛ وهو أستاذ كرسي الإمام ابن عطية في التفسير في إطار الكراسي العلمية التي تبثّها القناة السادسة المغربية، وأستاذ بمعهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية بالرباط.

وفي السنوات الأخيرة، تردّد على إمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، بدعوة من منتداها الإسلامي وبضيافة من أميرها للمشاركة في الدورات العلمية التي ينظمها المنتدى مرتين في كل عام، ألقى خلالها دروسًا في التفسير، وصحيح البخاري، وعلوم القرآن، والسيرة النبوية، والشمائل المحمدية، والعقيدة، والتاريخ، والسلوك، والأصول والمقاصد.

والشيخ حفظه الله عالم قراءات متقن، وفتح الله عليه في فنون عديدة، يتمتع بخصال حميدة وطباع نبيلة، وقد شهد بفضله وعلمه الكثير من أهل العلم وتخرج على يديه ثلة من القراء والمشايخ والدعاة وطلبة العلم والفضلاء في مراكش وطنجة وغيرهما من المغرب وخارجه.



المطلب الرابع: مكانة الشيخ العلامة سيدي المصطفى البحياوي:

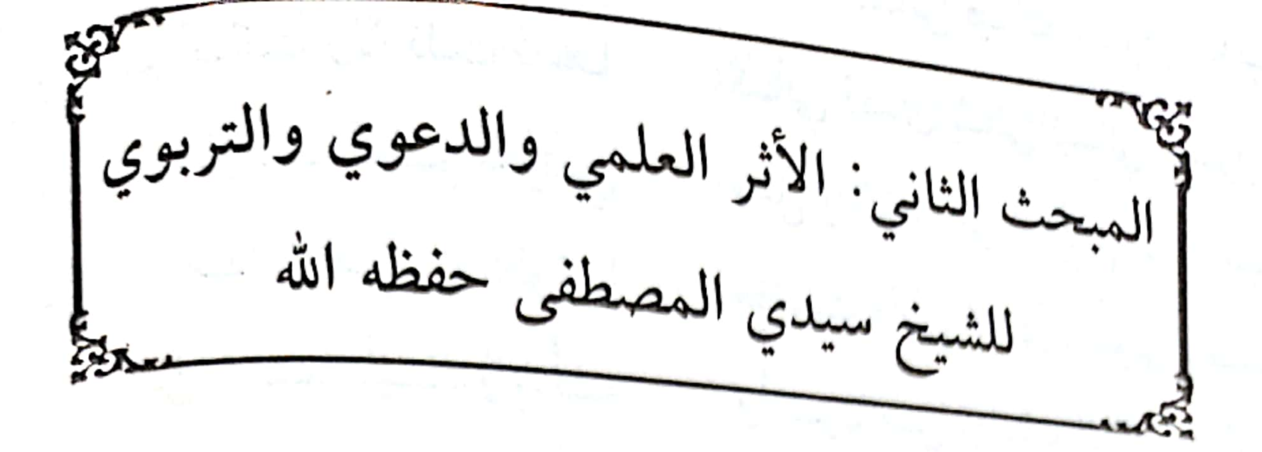
لا يخفى على أحد ما يحظى به العلامة سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله من تقدير واحترام في أوساط العلماء والطلبة وعموم من عرفه، وذلك لما خصه الله به من كريم الخصال وجميل الخلال، مع تمكن وضبط، وإتقان وحفظ، وهو ما يبدو من خلال هذه النماذج من الشهادات في حقه:

شهادة الدكتور محمد جميل مبارك[1]:

«... ومن الإنصاف في حقه أن أقول مستيقنا: إنه من قادة الفكر والثقافة والعلم الشرعي في بلادنا... في حديثه إمتاع وإقناع، إمتاع في الصوغ والعبارة، وإقناع في التعبير والإشارة، قبستُ من صحبته قبسات من علم وسمت، والصحبة هنا صحبة علم، ومقامها مقام التلمذة مع المشيخة، فليست صحبة الأقران، ولكنها صحبة التلاميذ للأساتيذ... فما كنت أجالسُه إلا بنية الاقتباس من علمه... نلقي عليه إشارات في قضايا تشكل علينا فيجيبنا بمهارة... ونصيبه من القرآن موفور، فإن استمعت إلى تلاوته بصوته الخافت الهادئ، خشعت لها، لأنه يتلو بلسانه ويتذوق بقلبه، وإن حاورته في رسم القرآن وضبطه، وعد آيه وأصول قراءاته وفرشها، استمتعت بقوة استحضاره، وغزارة محفوظه.

---

(١) رئيس المجلس العلمي بمدينة أكادير ويشغل أستاذ كرسي ابن رشد، وخطيب جمعة بالمدينة نفسها.



المبحث الثاني: الأثر العلمي والدعوي والتربوي للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله

الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله عالم معطاء، لم يتوقف عن البذل مما أتاه الله منذ بداية نشأته، وذلك في ميادين العلم المختلفة: القرآن والحديث، والعقيدة والتفسير، والتزكية... فقد بداء حفظه الله مسيرته العلمية والدعوية والتربوية منذ وقت مبكر جدًّا، حيث جلس للإقراء بمقرأة والده الحاج أحمد البحياوي رحمه الله وهو لم يتجاوز السابعة عشر من عمره، كما أنه تولى الخطابة بمسجد بوكار (بترقيق الكاف والراء) بمدينة مراكش، وكانت له دروس ومحاضرات ومجالس للعموم والخصوص، وكان حفظه الله يؤم بالناس صلاة التراويح في مراكش والرباط وطنجة، غير أنه مع الأسف لم يحفظ من ذلك إلا القليل جدا، بل إن مجالسه التي كان يعقدها بمدينة طنجة والتي كان لها أثر كبير في توجيه التدين، وإرساء دعائم الوسطية والاعتدال، لم تسلم من الضياع إلا ما كان من تسجيلات بعض الطلاب والمحبين.

ويمكن إجمال الإشارة إلى الإنتاج العلمي للشيخ سيدي المصطفى حفظه الله كما يلي:

* * * *

المطلب الأول: درس العقيدة:

من الجمل المجنسة للأستاذ سيدي المصطفى قوله: (العقائد معاقد، وعليها تؤسس العوائد)، نعم، لأن العمل لا يعتبر إلا بحسب الباعث عليه والمقصد منه، ولذلك حظي الدرس العقدي باهتمام كبير منه، حيث درّس العقيدة الطحاوية لطلبة العلوم الشرعية بمدرسة الموحدين بمدينة طنجة، وقبلها في وقت متقدم درس العقيدة في مساجد مراكش.

كما أنه لا يخلو درس من دروس التفسير أو الحديث من مسائل كلامية وعقدية، وشرحه لكتاب «الإيمان» من الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله، فصَّل فيه القول في جل موضوعات علم الإيمان ونظم أبوابه وأبواب كتاب التوحيد من الجامع الصحيح، وهذا نظم أبواب كتاب الإيمان، من صحيح البخاري:

نظم تراجم كتاب الإيمان من صحيح البخاري[1]:

وخُذْ تراجم كتاب الإيمانْ ... وَفْقَ الذي في جامعٍ بإيقانْ

بناءُ أمرِ المسلم المفضَّلِ ... إطعامُ حبُّ إخوةٍ والمرسلِ

حلاوةٌ علامةُ الفرارِ عن ... علمٍ بِكُرْهِ عَوْدِ كفرٍ فَضِّلَنْ

حياءُ ثوبٍ عملٌ ليس على ... حقيقةٍ سلامَ كُفرٍ جَهِّلا

وآيةُ اقتتالٍ ظلمٍ ونفاقْ ... قُمْ لجهادٍ وتطوُّعٍ سباقْ

صَومٌ بِيسْرٍ وصلاةٍ حسُنَتْ ... دامَتْ وزادت لزكاةٍ حصلتْ

---

(١) أدرجت هذا النظم كنموذج ولكونه له صلة بموضوع روض الإلهيات، وهو علم التوحيد والإيمان.

المطلب الأول: درس العقيدة:

من الجمل المجنسة للأستاذ سيدي المصطفى قوله: (العقائد معاقد، وعليها تؤسس العوائد)، نعم، لأن العمل لا يعتبر إلا بحسب الباعث عليه والمقصد منه، ولذلك حظي الدرس العقدي باهتمام كبير منه، حيث درّس العقيدة الطحاوية لطلبة العلوم الشرعية بمدرسة الموحدين بمدينة طنجة، وقبلها في وقت متقدم درس العقيدة في مساجد مراكش.

كما أنه لا يخلو درس من دروس التفسير أو الحديث من مسائل كلامية وعقدية، وشرحه لكتاب «الإيمان» من الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله، فصَّل فيه القول في جل موضوعات علم الإيمان ونظم أبوابه وأبواب كتاب التوحيد من الجامع الصحيح، وهذا نظم أبواب كتاب الإيمان، من صحيح البخاري:

نظم تراجم كتاب الإيمان من صحيح البخاري[1]:

وخُذْ تراجم كتاب الإيمانْ ... وَفْقَ الذي في جامعٍ بإيقانْ

بناءُ أمرِ المسلم المفضَّلِ ... إطعامُ حبُّ إخوةٍ والمرسلِ

حلاوةٌ علامةُ الفرارِ عن ... علمٍ بِكُرْهِ عَوْدِ كفرٍ فَضِّلَن

حياءُ ثوبٍ عملٌ ليس على ... حقيقةٍ سلامَ كُفرٍ جَهِّلا

وآيةُ اقتتالٍ ظلمٍ ونفاقْ ... قُمْ لجهادٍ وتطوُّعٍ سباقْ

صَومٌ بِيسْرٍ وصلاةٍ حسُنَتْ ... دامَتْ وزادت لزكاةٍ حصلتْ

---

(١) أدرجت هذا النظم كنموذج ولكونه له صلة بموضوع روض الإلهيات، وهو علم التوحيد والإيمان.

مع اتِّبَاعِ خَوْفَ سُؤْلٍ وبراءْ ... مع أداءِ نيةٍ تُصْحِ انتهاءْ
تِي أربعونَ مِن تراجمَ أتتْ ... مُرَتَّبَاتٍ وبنظم اتَّسقتْ
رحم ربي من بِنطقه جَرَتْ ... فَوعَى أدّى وبِصَدْرٍ وَقَرتْ

نظم تراجم كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه:

تَلْبيةً لِطِلْبَةٍ من خِلٍّ ... في نَظْمِ خَتْمٍ لإمامِ الكُلِّ
أَعْني بِهِ خَتْمَ الصحيح المُخْتَصَرْ ... تفاؤلًا بالختم بالعقد الأَبَرّ
بأنَّ لا إله إلا الله ... محمدٌ أرسله الإله
وتحت تَيْنِ الجُملتينِ تَدْخُلُ ... عقائدُ اليقين لا تبدَّلُ
وخُتِمَتْ كُتُبُ الصحيحِ فَانْتَبِهْ ... بما إليه المُنْتَهى والختمُ بِهْ
وها خُذِي المِلاكَ من أبوابهْ ... مُرَتَّبًا وُرودُها بِحَسَبِهْ
إذْ عَسُر النَّصُ بالاسْتِقْراء ... وفي المعاقد غنىً للرَّائي
فاقَتْ وراقَتْ صَدَّقَتْ من قال إنْ ... أسرارَهُ في نَظْمِ أبوابٍ تَعِنّْ
دُونَكَها فاعتَبِرِ المَعاقِدْ ... فيها غَنىً وغنيةٌ للعاقدْ(١)
عن نظم ما من مسرد المسائلْ ... وفي الذي انْتُحِي شفاء السائل:
دعا إلى التوحيد ثم كثَّرا ... أسماءه معرفًا بأشْهَرا
سؤالنا بها تعلّقٌ سَما ... تمييزُ ذاتٍ ونعوتٍ وسُمى
وصف علو باستوا ثم العروج ... إليه ثم نظر يوم الخروج
ختم بوصف الفعل ثمت الكلام ... بما قُرَانٍ وسواه في الختام
مَقْرُوُّهُ غَيْرُ قراءةٍ وهي ... موصوفة بما صفات المنتهي(٢)

---

(١) العاقد هنا بمعنى المعتقد.

(٢) قراءة القارئ غير القرآن، لأن القرآن كلام الله القديم موصوف بصفاته، =

حَــرِّكْ بِــهِ يَقُــومُ بَلْــغٌ يُتْلَــى	يَمْهُــرُ زَيِّنُــوا بِلَــوْحٍ أَعْلَــى
مُــوالِي الأبــواب لاســتدلال	ختمًــا ببــاب الــوزن للأعمــال
وضِـــمْنُهُ حـــديث وزن كِلْمَتَـــيْ	تســبيحنا بحمـــده بجملَتَـــيْ
سبحان ربي وبحمـده الوجـود	سـبحانه معظمــا بــلا حــدود
فـي ختمـه الختـم بِلُـبٍّ لِلُّبـابْ	في كِلْمَتَيْ تسبيحِنا سِرُّ الكتاب
أبوابه جملتها (نُطْ)[1] في نسقْ	فاحــت فباحــت بمعــانٍ كــالفلقْ
براعـــةُ الخـــتمِ بحمـــدٍ مُؤْذِنَـــهْ	بمــا تمــام الصــالحات الصَّــيِّنَهْ
والحمـــد لله الـــذي بنعمتـــه	يبلــغ ذو القصــد كمــال بُغْيَتِــهْ

نظم عقيدة الإمام الطحاوي:

كما نظم عقيدة الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، وسماه «منحة المهدي في نظم عقيدة الأزدي».

وفيما يلي نصها:

منحة المهدي في نظم عقيدة الأزدي

قــال عبيــد ربــه البحيــاوي	فــي نظمــه عقيــدة الطحــاوي

= والقراءة فعل القارئ موصوفة بصفاته ومنها الحدوث. وهو ما أرشد إليه الشيخ بقوله: حرك به في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، وقوله ﷺ: «زينوا أصواتكم بالقرآن»، وهو مضمن الذي قال فيه:

حــرك بــه يقــوم بلــغ يتلــى	يمهــر زينــوا بلــوح أعلــى

(١) نط بمعنى علق من ناط ينوط أي علق ومنه المناط، وهو رمز لعدة أبواب الكتاب أي تسعة وخمسون بابا، النون خمسون والطاء تسعة.

غمـرهُ الله بمحـض رحمتـه — وعمنـا معْـه بفـيض مِنّتـه

منتحيـا ألفاظـه فـي الـذكر — إلا اذا ضـاق نطـاق الشـعر

فصل في أن التوحيد لله:

تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد إذ مرده إلى:

إثبات الكمال لله المتعال ونفي ما يضاد كماله بكل حال

نقـول فـي توحيـدنا للـرب — مـع اعتقـاده بصـفو القلـب

الله ربنـا إلـه واحـدْ — قُـدُّس عـن شـرك ووُلْـد والـد

لـيس لـه مِثْـل ولا معـاجِزْ — تقـدير ذا لـيس بـأمر جـائز

وجـوده الأول مـن غيـر ابتـدا — وهُـو بـاق آخـرٌ بـلا مـدى

فلـيس يفنـى لا ولا يبيـدُ — ولا يكـون غيـرُ مـا يريـدُ

لا تبلـغ الأوهـام كنهـه ولا — تدركـه الأفهـام جـل وعـلا

لـيس لـه مـن شبَه إلـى الـورى — شـتان مـا بـين الإلـه والثـرى

حـي وقيـوم تعـالى عـن مِثال — قـام بـه الكُـلّ ذواتٌ وظـلال

وهـو خـالق بـلا احتيـاج — ورازق مـن غيـر مـا انزعـاج

يميـتُ مَـن...ولا يخاف عقْبـى — بعـثُهم لديـه لـيس صـعبا

مـازال بالوصـف القـديم قَبْـلَ أَنْ ... ولـم يـزل جـل بـه مِـن بَعْـدِ أَنْ

لـم يتسـمَّ باريـا حـين بـرى ... بـل كـان خالقـا ولاشـيء يُـرى

أي ثبتـت لـه معـاني مـا سُمِي ... بـه ثبـوتَ مُسـتحِقٍّ فـاعلم

من قبـل أن يُنمَـى لهـا مـن أثـرِ ... كـالخلق والـرزق والإحيـا فـاذكرِ

ذاك بأنـه علـى الكـلّ قـديرْ ... وكـل شـيء قـل إلـى الـرب فقيـرْ

وكـل أمـر يبْتغِـي يسـيرُ ... لـيس كمثلـه وهُـو البصـير

خلـق خلقـه بعلمـه وقـد ... دَر لهـم أقـدارهم جـلّ بحـد

وضـرب الآجـال كيمـا ينتهـي ... كـل إليهـا بالكتـاب فافقـهِ

أحـاط علمُـه بكـل مـا خلـق ... من قبـل خلقـه لهـم لمـا سبق

أمـر قـل بالطاعـة المكلفـين ... كـذا نهـاهم عـن خـلاف بيقـين

وكـل شـيء قـد جـرى بقـدره ... والعبـد عـاجز لـدرء خطـره

مشـيئة الـرب تمامـا نفَـذَتْ ... إذ مـا يشـا يكـن وإلا امتنعـت

يهـدي ويعصـم يعـافي فضـلا ... يُضِـلُّ يخـذُل ويبلـو عـدلا

إذ يتقلبـون فـي مشـيئته ... مـا بـين عدلـه وبـين منَّتِـهْ

وهُـوَّ فـي عزَّتـه قـل متعـال ... عن نِـدٍّ أو ضـدٍ وعـن كـل مثال

فـلا معقِّـب لحكمـه ولا ... لمـا قضـى رد ولا غالـب ولا

العقائد الكبرى في الوحي والنبوة الخاتمة وبعض ما خصت به من صور الاجتباء: كالحوض المورود ومعراج الصعود

ثم اعتقد جزما بأن المصطفى ... من خلقه محمدا به احتفى

نبيُّه الذي اجتباه وارتضى ... وهْو رسوله بختمه قضى

إمام كل متَّق وسيد ... للرُّسْلِ حِب ربنا الممجد

وكل دعوى للنبوءة أتت ... من بعده فَدَجَلٌ غيّ نبت

لقوله فيما رواه مسلمُ ... لا من نبي بعدُ وصفي الخاتمُ

وبعثَه اعتقد إلى كل الورى ... من جن أو انس وغيره ذرا

أنزل وحيه عليه ذكرا ... منه بدا من غير كيفٍ أمْرَا

فليس قوله بخلق منه ... تأملَ آية ﴿ألا﴾ تُبِنْهُ

ثم احذر الوعيد في المدثر ... لمن طغى وقال قول البشر

فَذَمَّهُ الحق وأصلاه سقر ... فكل من زعمه كفر

إذ وصفَ اللهَ بوصف الفاني ... وهوَّ قد جل عظيم الشانِ

نحن بكل ذاك مُؤمنونا ... وأن كُلًا منه قل يقينا

ثم اعتقد معراج سيد الورى ... بشخصه يقظة ليل السُّرى

حيث ارتقى من السما إلى الذُّرى ... أوحى إليه ورأى ما لا يرى

وحوضه الموعود غيث أمته ... حق وما ادُّخِر من شفاعته

ميثاق التوحيد

المأخوذ في الأزل والمقادير فيما مضى وما لم يزل

ميثاق ربنا العليِّ قد أتى ... في سورة الأعراف حقٌّ ثبتا

وقد تضمن اعترافا في بلى ... بأنه ربنا جل وعلا

وهو تعالى يعلم الذي يفي ... ومخلفا لوعده لم ينصف

وليس يعرو علمه نقص ولا ... زيادة كمًّا وكيفا مسجلا

قد يسَّر الكل لما خُلق له ... من شقوة ورحمة ما أعدله

واعتبِرِ الأعمال قل بالخاتمة ... من صدق أو خُلفه فهي لازمة

إذ السَّعيد أمره مضى قضا ... كذا الشَّقِي فلا تكن معترضا

قَدَرُ ربي سره المجلَّل ... فهوّ لا يُسأل عما يفعل

فقد طوى أسراره عمن خلقْ ... وسُدَّت الطرق إليه بالغَلَقْ

سيّان في ذا ملك مقرب ... ومرسل مكرم محبب

فمن يرد أن يكشف الذي طوى ... من سره عن الورى فقد غوى

لأجل ذا صح إِذَا مَا الْقَدَرُ ... ذُكر أمسكوا عن الخوض احذروا

والعلم علمان فعلم قد وجد ... وآخر مغيب قد افتقد

فالأول المطلوب وهو الأصوب ... والثانِ لا يدرى كذا لا يطلب

إيمانُنا يقضي بكسب الأول ... وثانيا دعه ولا تعلّل

لَوْحُ القضا بما مضى مما سطر ... بقلم الأقدار حق فاعتبر

جف بما هُوْ كائن إلى الأبد ... ليس له من ناقض ولا يردّ

ما أخطأ العبد فلن يصيبه ... وما أصاب فاعتقد نصيبه

إذ أمره بما جرى مقدور ... ومن يخاصم ربه مغرور

العرش والكرسي مربوبان لله جل جلاجه

والعرش مربوب كذا الكرسي ... والله جل عنهما غني

قد حُملا معا بمحض قدرته ... وهو المحيط إذ علا في عزته

علما وسلطانا فليس يلحق ... والعجز عن إدراكه محقق

كلَّم موسى من وراء الجَبَلِ ... واتخذ الحنيف خِلّا فاقبلِ

وآمِنَنْ برُسْلِه وكُتْبِه ... والملإ الأعلا تكن من حِزْبِه

مسائل تتصل بالإيمان والكفر وأن لكل منهما أصلا تصح به التسمية وغاية هي معقد التنويه أو التدسية

ولا تُفكِّرن بذَات الباري ... ولا تجادلن ولا تماري

في وحي ربنا الذي به نزل ... روح الأمين مرْسَلا لمِن كَمُلْ

نَعتُـه فـي أم الكتـابِ قـدْ عَـلا فليس مـن عـدل لـه قـل مسجلا

سَـمِّ الـذي يصـلي مسـلما متـى يُصَـدِّقِ الـذي بـه النبـي أتـى

ولا تُكَفِّـر مسـلما بِجُـرم إلا إذا استحله بعلـم

أو جـا بمـا وُسِـم شـركا أكبـرا فكفِّـرَنْ إلا بتأويـل جـرى

و لا تقـل كمرجـيء لـيس يضـر إيمانَنَـا الـذنبُ يَجِّـلّ أو صـغر

نرجو ولا نأمن ونخشى الخاتمه ولا نُقَـنِّط مـن أسـا أن يرحمـه

رؤيـة الله في دار كرامته ثابتة بالـنص المنزل
الذي عليه المعول في درك حقائق الغيب فلا تتَـأول

ورؤيـة الله بـدار الخلـد حـق أتـت فـي الـوحي دون حـد

لقولـه جـل وجـوه ناضـرة وهْـيَ إلـى ربهـا حقـا نـاظرة

تفسـير ذا علـى الـذي أراده مـن غيـر نقـص لا ولا زيـاده

فـدع تـأولا بـرأي فسـدا كـذا توهُّمًـا تجنـب الـردى

فإنـه لـم يـنْجُ فـي تدينـه إلا الـذي رد المشـبه انتبـه

إلـى الـذي بعلمِـه قطعـا أحـاط بالغيـب والشـهود فـالزم الصـراط

لا يثبـت القـدَم فـي الإسـلام إلا علـى جسـور الاستسـلام

فالراسـخون قـدَمًا قـد أعلنـوا إيمـانهم بِكُلِّـهِ وأذعنـوا

فظفروا بخالص التوحيد ... وسَلِموا من شُبَهِ التفنيد

وسوسة تيه وشك وجحود ... تَذَبْذُبٍ عمىً نكوصٍ وصدود

صح الفؤاد منهمُ وأشرقت ... بصائر التوحيد فيه وارتقت

فلا توهُّمَ يشَبِّهُ الصفات ... ولا تأول بتجريد لذات

من قد تعالى عن حدود وجهات ... بل عن سماتٍ وصفات المحدثات

بذَا أصابوا جوهَر التنزيه ... وبرئوا من نفي أو تشبيه

وأثبتوا لربهم جل علا ... مثَلَهُ الأعلى والاسماء العلا

فالأمْن والإياس ينقلان ... عن ملَّة الإسلام والإيمان

كذا جحود ما به قد دخَلا ... في الملَّة الغَرّا مما تأصَّلا

وأصل الإيمان بيانٌ باللسان ... موافقا لما استقر بالجَنان

وهْو في ذا واحد لا يختلف ... وأهله فيه سوا فلا تحِفْ

والأصل لا يقبل نقْصًا فاحذرِ ... تبعيضه فَهُوَّ كفْر قد دُرِي

تفاضل الرتب في الإيمان ... بنحوِ زُهدٍ خشية الرحمن

ونقصه بنقص ذي الأعمال ... تعلقت بظاهر أو حال

الولاية والكرامة وشروط قبولها

والمؤمنون أولياء الله ... أكرَمُهم أطْوعُهم لله

فلا تفضل أحدا منهم على ... مُنَبّـأ أو مرسل مُفضّلا

كرامة الولي صَدِّق إن تجي ... صحيحة النقل ولا تحرّج

تحرير ما يتصل بالتبديع والتكفير

ولتعْتَقِد في صاحب الكبائر ... لا مُشْرِكٍ أنه غير صائر

إلى جحيم خالد ولو لَقِي ... ربه غير تائب فلتتق

فالله لا يغفر أن يشرك به ... وما سواه إن يشأ يعف انتبه

وأمره لربه إن شاء ... عفا وإن يَجْزِ فما أساء

ثُمَّتَ يشفع بمحض منته ... يُخرجِهم يبعثهم لجنته

فليس عند ربنا سيان ... أهْلُ جحود وذوو إيمان

لا تحكُمَنْ بجنة ولا بنار ... لأحد مُعينا تُكْفَ البوار

إلا إذا عيَّنه من يعْلَمُ ... مصائر الخلق الإله الأعْلَمُ

ذَرِ السرائر لمن بها أحاط ... ولْتَكْتَفِي بظاهر فهو المناط

فلا تكفر أو تفَسِّقْ أو تُحَدْ ... إلا إذا لاح بلا خُلفٍ يُرَدْ

العقائد في الإمامة الكبرى والصغرى والجماعة والمتابعة

وصلِّ خلف من يؤم برًّا ... وفاجرًا لكن سواه أحرى

فقد أتى أن الأئمة عدول ... وهو ملاك من تحلى بالقبول

إن تنعقـد إمامـة لمـن رُضِـي ... فبايعنـه وانبـذَنَّ وازْفُـضِ

نزْع يد من طاعة كذا الخروج ... علـيهمُ إلا إذا كفـر يـروج

ولتلزم الطاعة في الذي عُرِف ... وإن على نُكْرٍ تُراد فانصرف

وَلْتَـدعون لهـم لا علـيهمُ ... بالرشـد والصلاح فهـو أسلم

والحـج والجهـاد ماضـيان ... معهـم بَرِّهـم والجـاني

ووافـق السـنة والأسـلافا ... واجتنـب الشـذوذ والخلافـا

وحِـبَّ أهْـلَ العـدل والأمانـة ... وابغـض أُهَيْلَ الجـور والخيانة

ولتعلـمَنْ ربـيَ أعلـم بمـا ... يخفـى ومـا شُبِّهَ أو مـا انْبَهما

سمعيات يجب الإيمان بها غيبا

ولْتُـؤْمِنَنَّ بـالكرام الكـاتبين ... وكـونهم علينـا حقـا حـافظين

وملك المـوت الـذي قـد وُكّلا ... بقـبض الأنفـس فكـن مُـؤَهَّلا

وبعـذاب القبـر والمسـاءلة ... عـن ربنـا ودينـه والمرسـله

والقبـر روضـة مـن الجنـان ... أو حفـرة مـن حفـر النيـران

والبعث حق للجزاء والحساب ... والعرض والوزن الوُرُودِ والثواب

والنـار والجنـة جزمـا خُلِقـا ... دار خلـود أبـدي صـدِّقا

كلاهمـا قـد ذرأ الإلـه لـه ... مـن خلقـه أُهيْلَـه بالمعدلـه

والخيـر والشـر معـا قـد قـدِرا ... علـى العبـاد ولأمـر سـطرا

أفعال العباد من خلقه وتكليفهم من أمره ورفقه، وهو في الأمر والخلق قائم بالقسط والحق جل في علاه

كلف ربي النفس وسعها وذا	مناط تحميل وتحصيل خُذَا
فَأَوَّلٌ صح به شرع الخليل	وثانيا بغَيره العقلُ يُحيل[1]
أفعالنا مخلوقة لله	إذ ليْس خالق سِوى الإله
وهي من كسبهم به يدين	رب العباد خلقه فلتستبينْ
فلا تحول عن العصيان	إلا بعون الله ذي الإحسان
ولسْتَ تقدر على فعل البرور	إلا بتوفيق من الله الغفور
تلخيص ذا في قولنا لا حول لا	قوة إلا بالإله إذ علا
دعاؤنا لربنا عباده	وسبب لجلب ما أراده
فَهْو القريب والمجيب بيقين	وفقرنا بادٍ لرب العالمين
نرجو الرضى منه ونحذر الغضب	بالسبق للبر وأسباب القُرَبْ

عدالة صحب رسول الله ﷺ وخلفائه وأهل البشارة والسلف من أئمة الفقه وأصحاب الأثارة

من ثبتت صحبته للمرسل	نبينا محمد فعدّل

(١) أي: يحكم باستحالة أن يحصل التكليف بغيره.

حُبُّـهُ أوجِـبْ والثنـاءَ فاعْلُـلِ | ومـا جـرى بيـنهم فـأول
والخُلَفـا بعـد رسـول الله | صـدّيقهم فعمـرٌ ذو الجـاه
ثمت عثمان الرضى ذو النورين | ثـم علـي صـهره أبـو الحسـين
تـرتيبهم فـي الفضـل كالخلافـه | فأثْبِتنْـه وانبـذَن خلافـه
وهـم وبـاقي العشـرة الأماجـد | مبشـرون بـالنعيم الخالـد
طلحـة والزبيـر سـعد وسـعيد | أبـو عبيـده وابـن عـوف الرشـيد
ولتحسن القول في صحب المصطفى | أزواجـه ونسـله ذوي الوفـا
وسـلف الأمـة مـن أهـل الأثـر | أئمـة الفقـه وأربـاب النظـر
لتبـرأنْ مـن النفـاق والعقـوق | وفتنـة المحيا وأسباب المـروق

أشراط الساعة وخصائص الدين الخاتم

وآمِـنَنْ بِشَـرَطِ القيامـه | كبرى وصغرى واسأل السلامه
من ذا خروج دابَّة الأرض نزول | عيسى طلوع شمسنا من الأفول
ظهـور دجّـال نعـوذ بالإلـه | من دركـه وفتنـة المحيا الممـاه
ولا تصـدق كاهنـا عرافـا | والمـدَّعِي لِلْمُنْـزل الخلافـا
كـذا الـذي يبغـي عـن الجماعـه | شـذوذا أو نـزع يـد مـن طاعـه
لـدين مولانـا الـذي قـد اصطفاه | إسلامنا الـذي ارتضـاه واجتبـاه

فمـن يـرمْ تـدينا بمـا عـاداه ... رُدَّ عليـه سـعيه يـا حسـرتاه

ديـن الحنيفيـة قـد جـاء وسـط ... بـين غلـو وجفـاء لا شـطط

فهـو مـا بـين قنـوط وأمـان ... قَـدَر جَبْـر نَفـي تشـبيهٍ يصـان

دليـل ذا كـذاك قـد جعلنـا ... كُـم أناسًـا وسـطا أعِنّـا

يـا ربَّنـا علـى لزومـه إلـى ... نهايـة العمـر يـا مـن لـه العـلا

خاتمة وابتهال

وفـي الختـام نسـأل الله الثبـات ... على الهدى وعصمة إلى الممات

من الهـوى المُـرْدي ورأي فسدا ... فـأورث الزيـغ وسـا معتقـدا

إذْ خـالف السـنة والجماعـة ... ثـم انتحـى غيـر سـبيل الطاعـة

هـذا تمـام نظمـي المسـمى ... بمنحـة المهـدي لمـا قـد ضـما

من شـذرات عِقـد عَقـد السلفِ ... دونكهـا مـن يَـدِ خِـلٍّ مُنصِـفِ

ألفـت بـين فقـر ألفيتهـا ... شَـتّا ومـن مقحمهـا أخليتهـا

ليَيسُـر الحفـظ علـى الطـلاب ... لشـذراتها بـلا غـلاب

وإننـي لأرتجـي ختمـا بـلا ... إلـه إلا الله جـل وعـلا

شـهادة مـع القبـول والرضـى ... يكفـر الله بهـا مـا قـد مضـى

أمـين آمـين وأمنـا للـذي ... قد أصلح الخرق برفق فاحتذي

المطلب الثاني: درس التفسير:

بدأ الشيخ سيدي المصطفى حفظه الله بإملاء دروس تفسير القرآن الكريم بمسجد العمرة بمدينة طنجة سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، حيث افتتحها بتفسير سور المفصل «سورة الحجرات» وذلك لما جاء فيه من فضائل، نذكر منها اثنتين:

الفضيلة الأولى: أنه فُضِّل به المصطفى عليه السلام وفيه حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن واثلة بن الأسقع، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»[١].

الفضيلة الثانية: أنه لباب القرآن: وفي ذلك قال الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» قال: «ما ورد في المفصل: أخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفا: إن لكل شيء لبابا، ولباب القرآن المفصل»[٢]. وأخرجه أيضا الطبراني رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «لكل شيء سنام، وسنام القرآن البقرة، وإن لكل شيء لبابا، ولباب القرآن المفصل، وإن الشياطين لتخرج من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصغر البيوت لَلْجَوْفُ الذي ليس فيه من كتاب الله شيء»[٣].

كما أنه من حيثيات هذا الاختيار، كون عموم محفوظ الناس من هذا الجزء من القرآن الكريم، وكون جل سوره بل كلها فيها حديث عن

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٦٩٨٢.
(٢) الإتقان في علوم القرآن: (١١١/٤).
(٣) المعجم الكبير للطبراني: برقم ٨٦٤٤، (١٣٨/٩)

المصطفى وما خص به ﷺ، بالإضافة إلى أمور أخرى ذكرها في مقدمة الدروس وهي مما هو مسجل من دروسه.

ثم بعدما ختم المفصل كله إلى «سورة الناس»، انتقل حفظه الله إلى سورة الشعراء[1] ووصل في التفسير والتدبر إلى سورة فاطر[2].

كما أنه منذ انطلاق مشروع الكراسي العلمية وهو حفظه الله يلقي دروسه في تفسير القرآن الكريم (كرسي الإمام ابن عطية) من غير توقف، وقد وصل إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وقد نظم منهجه في التفسير في الأبيات التالية تحت عنوان:

«نظم بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف»[3]:

---

(١) من حيثيات هذا الاختيار أن سورة الشعراء هي أول المثاني الذي أوتيه رسول الله ﷺ مكان الإنجيل كما في الحديث الذي سبق ذكره.

(٢) يقتصر الشيخ سيدي المصطفى في السنوات الأخيرة على مجالس التفسير والحديث التي يعقدها في شهر رمضان من كل سنة بمسجد الإمام الشاطبي بمدينة طنجة. يومي الجمعة والأحد بعد صلاة العصر.

(٣) اتَّبَعَ نهج الشريف سيدي مصطفى في هذه البطائق الدكتور محمود مرتضى حامد، إمام وخطيب بوزارة الأوقاف بالكويت، وذلك في منظومة سماها: ألفية التعريف المسماة: «بطائق التعريف بالمصحف الشريف»، وقال في مقدمتها (ص ٠٥): اتبعت في نظمي هذه الأبيات المنهج الرائد في دراسة البطائق والذي أشار إليه شيخنا العلامة سيدي المصطفى البحياوي الإدريسي الحسني المغربي، وذلك في نظم موجز فائق، والذي مطلعه: =

بطاقة التصنيف

وَإنْ تُـرِدْ بَطَائِـقَ التَّعْـرِيفِ بِسُـوَرٍ لِلْمُصْحَـفِ الشَّـرِيفِ

فَهِـي ثـلاثٌ رتبـت كمـا يلـي تصنيف توصيف وتوظيف جلـي

مندرجُ الأولى اسمها والنسبُ عـددهـا ترتيبهـا والسبـبُ

ووجه نظمها في مَجْلَى الكتاب مطلعها مقطعها فضل يصاب

خصائصٌ ان وجدت فواصـلْ صلـة ذي بمـا لطائـف تَجِـلّ

بطاقة التوصيف

وَوَصِّفَـنْ بمقصـد مـوضوع ومنهـج فـي عرضـه متبـوع

ولتعتنـي بمـا بـه استهلال ترجمـة ومقطـع تنـال

بطاقة التوظيف

وَوَظِّفَـنْ مستفـادَ الأرصـدة خيارهـا مرتِّبـا معـاقده

فـي كـل مـا يرجـع للدلالـةِ إفـرادِ تركيـبٍ ونظـمٍ مثبـتِ

قـراءة ومعجـم نحـو بيـان ذي امهـات مـا بـه قـد يستعـان

ولتقتصر منه على ذي الصلـةِ بغـرض التفسيـر دفعـا بالـتي

= وإن تـرد بطـائق التعريـف بسـور للمصـحف الشـريف

فهـي ثـلاث رتبـت كمـا يلـي تصنيف توصيف وتوظيف جلي

واقتصر هو (محمود مرتضى) في نظمه على بطاقة التصنيف وضمنها الجوانب العشرة التي ذكرها الشيخ في تصنيف سور القرآن الكريم، وقال في خاتمة منظومته: (ص١٣١).

وأدخلنـا جنـان الخلـد وأرضـا وعمـن دلنـا فضـلا ترضـا

ومنهم شيخنا المرضـي دينـا هـو البحيـاوي فاحفظـه أمينـا

لكل ما لا يخدم المعاني ... وربما فاتت به المثاني

ولتنظرن في كل ما قد أُثِرَ ... إن صح أو قارب كن معتبرَا

وفي الذي استنبط من إمام ... على رجا التخصيص بالإفهام

مدده مما مضى وَرِفْدُهْ ... من الذي أذكرهُ أُحدِّدُهْ

فَرِفدُهُ من العلوم الآتية ... تاريخُ كونٍ نظمٌ سياسيةٌ

أديانهم فلسفة أخلاق ... لأنه أنزله الخلاق

بعلمه المحيط بالأسرار ... فهو بذا مُجَمَّعُ الأنوار

لو مدد البحر مداد ما نفد ... كلام ربي الحكيم المنفرد

ولتسألِ المنزل فتحا ومدد ... لكي تلاقي الفيض من رب صمد

❊ ❊ ❊ ❊

المطلب الثالث: درس القراءات:

منذ بداية جهاده العلمي والدعوي، اهتم الشيخ غاية الاهتمام بالقرآن حفظا وأداء وتفسيرًا، ولذلك عني بتدريس علمي القراءات والتجويد، وقد تخرج عليه طلبةٌ كُثر، سواء في مدينة مراكش، أو في مدينة طنجة في معهد الإمام الشاطبي وغيره، ويتوافد عليه الطلبة من شتى أقطار العالم، كما أنه في السنوات الأخيرة يدرس حرز الأماني في معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، وقد ختمه مع الطلبة.

وقد أثمرت عنايته بدرس القراءات مجموعة من الإنتاجات العلمية في الباب، منها «الدليل الأوفق إلى رواية ورش من طريق الأزرق»[1]، بالاشتراك مع أساتذة آخرين كما أن له نظم سماه «قصر البرِّية على الرواية الورشية»[2]، و«تقريب لذيل مورد الظمآن[3] في فن ضبط القرآن»[4].

* * * *

---

(١) طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية سنة ١٤٣٠هـ.

(٢) المقصود بالبرية: منظومة ابن بري المشهورة وعنوانها: الدرر اللوامع في أصل مقراء نافع.

(٣) منظومة مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن ومتن الذيل في الضبط من نظم الإمام المقرئ: محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي الخراز (ت : ٧١٨ هـ)، ونظم تكملته بعنوان «الإعلان بتكميل مورد الظمآن» الإمام المقرئ عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر (ت ١٠٤٠هـ).

(٤) طبعته مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف سنة ١٤٣٤ من هجرة المصطفى ﷺ.

المطلب الرابع: درس الحديث:

بـدأ الشـيخ درس الحـديث فـي نفـس السـنة التـي بـداء فيهـا درس التفسير، وفيه يشرح صحيح البخاري بمنهجه المتفرد، حيث يجمع بين العناية بالأحكام، والنظر في المناسبات، والفوائد الإسنادية، وتراجم الرجال، وغيرها من العلوم، وذلك غير خفي بل ظاهر جلي.

بداء في شرح الصحيح من أوله وكان درسه راتبا كل يوم أحد بمسجد الإمام الشاطبي طيلة السنة، إلا أنه في الفترة الأخيرة اقتصر على مجالس رمضان، حيث يعقد كل أحد مجلسه بعد صلاة العصر ويستمر إلى أن يحين أذان المغرب، وقد وصل في شرحه للصحيح إلى كتاب الأذان، «باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد»[1]، كما أنه عقد مجالس لإملاء موطأ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه في المنتدى الإسلامي بالشارقة.

والشيخ كعادته حفظه الله يهتم غاية الاهتمام بنظم المعارف، حيث أنه في ختام كل باب ينظم تراجمه.

وهذا نموذج منها نظم فيه أبواب كتاب العلم من صحيح الإمام البخاري رحمه الله ورضي عنه[2]: قال رضي الله عنه:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، وأورد فيه حديثًا واحدًا لمالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيما رفيقا، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم، وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم.

(٢) عند ختم كل كتاب من كتب الصحيح يُملي الشيخ على الطلبة نظم أبوابه =

نظم تراجم كتاب العلم من صحيح البخاري رحمه الله:

[وذي تراجم كتاب العلم ... قد أخذت منه بمحض الفهم

عدتها ثلاث مع خمسينا ... قد نظمت دُرًّا أتى ثمينا

فضل سؤال في اشتغال وجهار ... قول محدث ثنا طرح اختبار

قراءة والعرض قل مناوله ... قعود حيث ينتهي سُدْ خَلَلَهْ

رب مُبلَّغٍ وعلمٌ قد سبق ... تخول جعل أيام للأحق

الفقه خير مع فهم غبطة ... ذهاب موسى ودُعًا ببسطة

صحح سماعا واخرجن لطلبة ... لفضل علم رفعة بفضلة

فتيا ركوبا مع جواب بإيماء ... احرص على الحفظ ارحلن للقاء

ناوب وغاضب من تعلم وابرك ... أعد حديثا علِّم أهلا واسلك

لعظة النسا احرصن أن يقبضا ... فاجعل لهم يوم سماع مفرضا

بلغ ولا تأثم وللعلم اكتب ... بالليل و اسمرن لحفظ تنجب

واترك للاختيار خص من عقل ... حيي مسجد أجاب من سأل

أنصت وكِلْ عِلْمًا لعالم وسل ... لدى قيام وجمار علما قل

وصل يا رب على المختار ... صلاتك الكاملة المقدار

وآله وصحبه الكرام ... والحمد لله على الختام]

= وإحصاء الأحاديث الواردة فيه ويبين عن أسرار النظم وفقه التراجم، والعزم معقود بإذن الله على جمعها كلها مع ما يتحصل لنا من نُظُمٍ أخرى، ليتم إصدارها في كتاب مستقلٍّ بحول الله.

المطلب الخامس: درس السيرة:

في رمضان من سنة ١٤١٢ من هجرة المصطفى عليه السلام، شرع سيدي مصطفي في دروس السيرة النبوية، وقد كان كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس اليعمري[١] هو المتن الذي يُعنى بشرحه، وذلك في مجالس رمضانية في مسجد بدر بمدينة طنجة، حيث وصل إلى أخر فصل إرهاصات النبوة.

وفي إحدى دورات المنتدى الإسلامي بالشارقة، شرح كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي رحمه الله[٢]، فكان عمله هذا في نظري جوهرة كمال توسطت تاج المعارف التي يحفل بها تراثه الغني الثري، ومقدمتها تنبئ عن فحواها في براعة استهلال بلغت التمام، ونصها كما يلي:

[بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وأرسل رسله بالدين الصدق، وجعل مسك ختامهم سيدنَا محمدًا بدر التمام، المبعوث بشريعة الختام، ومنهج القوام نبي المرحمة والملحمة، من أقسم الله تبارك وتعالى بعمره، تنويها بقدره، وتنبيها على جليل أمره، فقال تعالى: «لعمرك»[٣] فأكرم بعمر كل أطواره أنوار، تغشّتْها

(١) أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، له بالإضافة إلى عيون الأثر: بشرى اللبيب بذكرى الحبيب، وتحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة، والكرامات العلية في كرامات الصحابة الجلية، وغيرها، (ت ٧٣٤ هـ). ترجمته في: الوافي بالوفيات (٢١٩/١) والدرر الكامنة، برقم ١٩٢٠ (٤٧٦/٥).

(٢) وسيصدر إن شاء الله هذا الشرح بعنوان: شرح الشمائل المحمدية لإبراز نورالدلائل النبوية.

(٣) وذلك في قول الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الحجر: ٧٢.

أسرار، عمر جهاد وتضحية، وجلاد وتزكية، من أجل كشف الظلماء، وإزاحة الغماء، وتنوير الأفئدة، بالأنوار المسعدة، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فَصَلِّ اللهم وسلم على صاحب هذا العمر العامر، والنور الظاهر، والسر الباهر، صلاة وسلاما يرفعانه إلى مقام الوسيلة، ويكونان لنا بفضلك يا مولانا من موجبات الشفاعة في يوم لا ينفع فيه مال ولا حيلة، يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين][1].

كما شرح كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض رحمه الله تعالى في اثني عشر مجلسا بالشارقة وهو موجود في الموقع الرسمي للمنتدى الإسلامي وموقع الشيخ سيدي المصطفى على شبكة الأنترنت.

* * * *

---

١) يعتني الشيخ ...

المطلب السادس: درس الأصول:

من العطاء العلمي للشيخ سيدي المصطفى البحياوي حفظه الله في علم أصول الفقه، وهو عنده مناهج النظر في فقه الاستنباط، شرحه لكتاب «الرسالة» للإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، ومقاصد الإمام الشاطبي رحمه الله، وذلك من خلال شرحه للمرافق على الموافق للشيخ أبي المودة الشريف ماء العينين[1]، فكان أن أبان على أن هذا العلم (علم أصول الفقه) يمثل أحد أعظم مفاخر الأمة في باب علوم الشريعة.

وهذا نص الديباجة التي يفتتح بها دروس شرح الرسالة:

[بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي أثنى على نفسه العلية بنعت الحكيم فقال جل في علاه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢]، في نظائر لها، كما نوه بالمنزل منه كتابا بذات النعت، وذلك غاية التوسيم، فقال جل وعلا في صدر سورة يس ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١] وأشاد بالحائز من هذا الوصف بحسب اللطف، لطف الله الكريم الوهاب، فقال في الكتاب: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ

---

(١) نظم الشيخ أبو المودة ماء العينين موافقات الإمام الشاطبي وشرحها وسمى الشرح: المرافق على الموافق وقد طبعته دار ابن القيم مع دار ابن عفان بتحقيق مشهور بن حسن آل سليمان، والشيخ سيدي مصطفى في المنتدى الإسلامي شرح الجزء المتعلق بمقاصد الشريعة منه، سنة ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م.

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ذلك ،وما كثره العظيم فقد أوفى على الغاية في الباب.

وصلاة ربي وسلامه على الناطق بالحكمة، والمسدد بالعصمة، والمبعوث رحمة، ﷺ وعلى آله، القائل فيما صح عنه: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[1] ومن جعله الله مثالا للربانيين، وَعَنْوَنَ برنامجه الإصلاحي في التزكية بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، والربانيون هم العلماء الحكماء الحلماء، والعلم شرط الحكمة، إذ لا يُدخل للحكمة من باب الجهل، والحلم زينتها، إذ لا يُدخل إليها من باب الخرق والسفاهة والجهالة.

وقد جعل الحق تبارك وتعالى من وظائف النبي ﷺ: تعليم الحكمة، وامتنَّ علينا بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وبمقتضى ذلك كان ﷺ أول المستنبطين، وأعظم المتدبرين لهذا الكتاب، فقد أجتهد ﷺ في البيان كما وكل إليه ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. اجتهد ﷺ وهو المعصوم، واجتهد الصحابة رضي الله عنهم بحضرته، فأقر وأشاد، وصحح وأفاد، حتى استوى منهاج الاجتهاد بين يديه على تمام المراد، صلى الله عليه وعلى أله وصحابته، ومن لف لفهم وانتحى صفهم إلى يوم المعاد].

---

(١) رواه مالك في الموطأ: كتاب الجامع، باب جامع ما جاء في القدر، رقم ١٨٧٨، (٧١/٢).

المطلب السابع: درس التزكية:

خلال مدة معرفتي بالشيخ سيدي المصطفى حفظه الله، وما حضرته له من دروس، وما استمعت إليه من محاضرات، أكاد أجزم بأن التزكية هي أجل مقاصد جهاده العلمي والدعوي، وكيف لا يكون ذلك كذلك، ومنه تعلمنا أن أعظم وظائف النبي ﷺ هي تزكية أنفس تابعيه، والقرآن الكريم يُجَلِّي ذلك في أطول قَسَم فيه في سورة «الشمس» حيث أناط الفلاح بالتزكية والخيبة بالتدسية، فقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَيٰهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَيٰهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّيٰهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَيٰهَا ۝٤ وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَيٰهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَيٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّيٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيٰهَا ۝١١ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَيٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّيٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١-١٠].

ولذلك عني الإمام سيدي المصطفى بموضوع التزكية في جانبين:

١- باب الأصول (أصول فقه التزكية): وذلك في شرحه لكتاب الرقاق من صحيح البخاري في مسجد الإمام نافع بمدينة طنجة، وفي الشارقة حيث شرحه كاملا ونظم أبوابه وتراجمه.

٢- باب نُطْقِ العَارِف: حيث شرح حكم ابن عطاء الله السكندري ونظمها في منظومة سماها النفح العنبري بنظم حكم السكندري، ونص ديباجة التقديم لدروس شرح الحكم كما يلي:

«بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب والحكمة، ليزكّيَ بهما من شاء ويرقيه إلى مقام الحفظ والعصمة، وأُثني عليه الخير كله، وهو أهل الثناء والمجد، إذ أناط الفلاح بمن تزكى وتطهّر، وذكر اسم ربه فصلى وتنوّر، وعقّب فاخبر بأن هذه الحقيقة مقررة في صحف الأنبياء، ورسائل السماء، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأعلى: ١٤-١٩] وزاد سبحانه فأقسم بأطول قسم في الكتاب، تنبيها لأولي الألباب، بما يرفع الارتياب، على أن المتزكي مفلح فائز، والمُتَدَسِّي خاسر غير حائز، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝﴾ [الشمس:١-١٠].

وصلاة ربي وسلامه على من زكى الله منه اللسان والفؤاد، وزكى جملته ومسلكه بما أفاد، مقسما على ذلك بالنجم في تألقه في علاه، بما لمحمد ﷺ من فائقية في سماه، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ١- ٣]، ﷺ وعلى آله، ومن ثم نصبه للزكاة مثلا أعلى، وأقسم على ذلك بأدوات المعرفة فقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:

١ - ٢]، والجنون اختلال في الفكر، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]، أي أنت موصول منا بالعطاء وبالمدد، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وهذا القسم يحيل على أن إدراك الكمال الأحمدي مِثالًا للزكاة، متوقف على أدوات المعرفة، فخصوم القلم خصوم للعلم الحقيقي، لا يعرفون محمدا ﷺ وعلى آله. ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ براءة رسول الله مصونة من الاختلال، ومعرفته متوقفة على الدخول من الباب، إذ لا يعرف الشبيه إلا شبيهًا أيها البحر لسنا سواء[1]، وبين سبحانه انه كلّف هذا المثل الذي نصبه ليتزكى به الناس، فجعل من مَهَامِّهِ الكبرى تصديه لتربيتهم، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]، ليكونوا ربانيين، وكلمة الربانية توحي بالترقية عن طريق التربية، إذ أن الرب هو المربي، والرب: المصلح، وهذا من جلائل خصائصه، الرِّبِّي هو المُتَرَبِّي لكن في غير سياق نعت إله، فلذلك خولف في اللفظ بين «الرباني» المنسوب إلى الرب، بزيادة في البنية تدل على زيادة في النسبة، لبيان علو المقام (تسمى التغيير للنسبة) والرِّبي المصلح، والرباني العالم ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، حكماء علماء حلماء.

---

(١) تضمين للبيت الشعري من قصيدة خواطر الغروب للشاعر إبراهيم ناجي والتي مطلعها:

قلت للبحر إذ وقفت مساءَ   كم أطلت الوقوف والإصغاءَ

إلى أن قال:

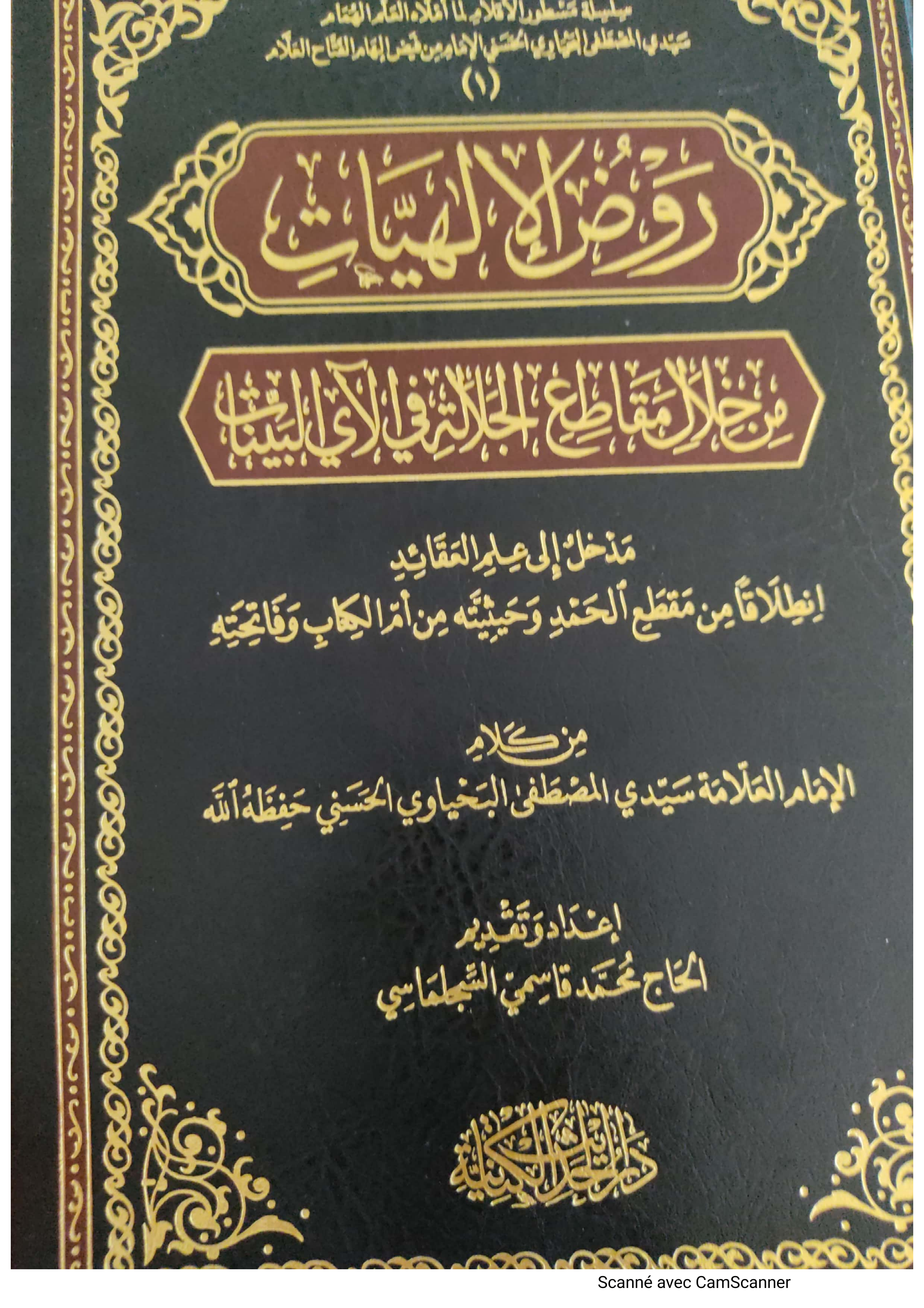
إنما يفهم الشبيه شبيها   أيها البحر لسنا سواءَ

ديوان إبراهيم ناجي، ص: ٥٢.

هذه الكمالات منه ﷺ، هو مربيهم، وهو مزكيهم بشهادة الكتاب، وهو على الصراط المستقيم، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا رسول الله، جوهرة الكمال، وعلى قرابته وصحابته ذوي الجاه الأعلى، ومن لف لفهم، وانتحى صفهم إلى يوم القيام.

* * * *


(١)
روض الإلهيات
من خلال مقاطع الجلالة في الآي البينات
مدخل إلى علم العقائد
انطلاقا من مقطع الحمد وحيثيته من أم الكتاب وفاتحته
من كلام
الإمام العلامة سيدي المصطفى البخياوي الحسني حفظه الله
إعداد وتقديم
الحاج محمد قاسمي السجلماسي